خطاب البطل الروائي في روايات محمد ديب

الدكتور :إسماعيل جبارة جامعة البويرة(الجزائر)

الملخص:حاولت في هذه المقالة الموسومة خطاب البطل الروائي في روايات محمد ديب ، أن أبرز أهم خصائص ومعالم البطولة الروائية في الرواية الجزائرية الناطقة باللسان الفرنسي ، و محمد ديب روائي جزائري سخر قلمه لخدمة قضايا الشعب الجزائري،أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر وبعده ،وقد جعل من البطل الروائي صورة للشعب الجزائري الذي عانى الويلات والحرمان والبؤس والضياع بطريقة فنية رائعة.

الكلمات المفتاحية :البطل –الخطاب – الرواية الجزائرية الناطقة باللسان الفرنسي – البطل الروائي.

Summary:
I tried in this article tagged the speech of the novelist in the novels of Mohamed Dib, the most important characteristics and milestones of the novel tournament in the French-speaking Algerian novel, and Mohamed Dib Algerian novelist ridiculed his pen to serve the causes of the Algerian people, during the French occupation of Algeria and after, has made the novelist A picture of the Algerian people who suffered woes, deprivation, misery and loss in a wonderful artistic way.

key words:
The hero - the discourse - the Algerian novel of the French tongue - the fiction hero.

مقدمة :إنّ الحديث عن البطل الروائي في الرواية الجزائرية المكتوبة بالقلم الفرنسي ،يستدعي منا العودة إلى المحاولات الروائية التي استطاع اصحابها أن يجعلوا من البطل الروائي يعبر في الكثير من الاحيان عن فكرة وموضوع الرواية ،إن لم نقل أن أغلب هذه الروايات اتخذت من العنوان اسم البطل .

وتعتبر روايات محمد ديب من الروايات الجزائرية التي ينطبق عليها هذا القول ،فقد جاء أبطال رواياته يعالجون الحياة الاجتماعية ببؤسها وحاجياتها وشعورها بالمرارة ،وثورتها على الظلم والعنف ،إنهم أبطال واقعيون يعيشون في مستوى الشعب ،ويشعرون بشعوره ،ويتفاعلون معه سلبا وايجابا ،إنهم أفراد تتمثل فيهم طبائع البيئية بخيرها وشرها بحقدها وتعاونها ،بفشلها وانتصارها ،بارتباطها بالماضي وتطلعها إلى المستقبل ،هذا هو البطل ،إنه شخص عادي ،ركز الكاتب فيه وعليه كل مشاعر المواطن ،فليس له مؤهلات خاصة ولا استعدادات خارقة.

تعريف الخطاب الروائي:

إنّ بتعرضنا لمفهوم الخطاب يقتضي وجود طرفين من خلال علاقة حوارية (مرسل ومرسل إليه)،لذلك يمكن القول أن الخطاب الروائي هو« كغيره من أنواع الخطابات هو رسالة موجهة من مرسل إلى المتلقي»[1].

وباعتبار الخطاب الروائي رسالة موجهة إلى المتلقي ،فإن له وظيفة أساسية يريد تحقيقها من خلال الشفرة (رسالة) « لها وظيفة تريد تحقيقها فهذه الرسالة\الخطاب لا تصدر بشكل عشوائي ،والخطاب الروائي قبل كل شيء هو خطاب لغوي ،فاللغة أداة ،والرواية ظاهرة لغوية قبل أي اعتبار أخر ،ويتجلى هذا أساسا في تعدديتها اللغوية .» [2]

وهكذا فالخطاب الروائي يمكن تحديده من خلال لغة الراوي ،التي تعكس صورته وصورة الآخر من خلال الواقع الاجتماعي لما يحتويه من أحداث ووقائع تصور بناء حياة في إطارها العام .فالراوي يقوم من خلال عمله بتجسيد الواقع الاجتماعي وسيلته الخطاب الروائي،« الذي يتفاعل بطريقة جد حساسة مع ابسط انحرافات المناخ الاجتماعي وتقلباته إنه يقوم برد الفعل» [3] .ومن ثمة نستنتج أن للخطاب الروائي فنيات تحكمه ،باعتباره نتاج لغوي .

---

[1] أسماء أحمد معيكل :الأصالة والتغريب في العربية روايات حيدر أنموذجا (دراسة تطبيقية)عالم الكتب الحديث إربد الاردن ط1(2011)ص281

[2] المرجع نفسه ص 281

[3] مخائيل باختين :الخطاب الروائي،ترجمة محمد برادة ،القاهرة ط1\2009 ص 68

تعريف شخصية البطل :

اتفقت المعاجم اللغوية العربية التي أوردت تعاريف للبطل بأنه :« الشجاع ،وقيل إنما سمي بطلا لأنه يبطل العظائم بسيفه فيبهرجها ،وقيل سميّ بطلا لأن الأشداء يبطلون عنده ،و قيل :هو الذي تبطل عنده دماء الأقران ،فلا يدرك عنده ثأر من قوم أبطال ،فالكلمة تستعمل إذن في ميدان الحرب والنزاع ،وتتضمن معني القوة والشدة والبأس» .[4]

فالبطل لا يكون بطلا إلا لفعل يأتيه تظهر من خلاله قوته ،ولابد أن يكون في فعله هذا نزاع أو قتال أو صراع .ولهذا السبب ربما ،استعيرت كلمة البطل في العصر الحديث للخطاب النقدي الأدبي كي تقابل كلمة héros من أجل الدلالة على معنى هذه الكلمة النقدي .

وهذا نجد البطل يشكل ضرورة ملحة للعمل الروائي ،وهو عبارة عن مجموعة من المتناقضات،« وتنبع أهمية البطل من مدى تأثيره فيمن حوله ،ومن الدور الذي يؤديه في المجتمع ،والبطل عبارة عن حقيقة مادية وموضوعية مرتبطة بالزمان والمكان ».[5]

إنّ البطل بهذا المعنى ليس شخصا يتميز بخصائصه الذاتية ،بل هو الصورة التي يضفيها الناس على الشخصية مستندين إلى مجموعة من القيّم ،« فشخصية البطل هي الشخصية المركزية التي يختارها القاص للتعبير عن أفكاره وأحاسيسه ، كما أنها تعتبر من أهم الشخصيات في العمل الروائي ،حيث تتمتع الشخصية الفنية المحكم بناءها بالاستقلالية في الرأي ،وحرية في الحركة داخل مجال النص القصصي ».[6]غير أنه ليس هناك تعريف دقيق لشخصية البطل فالتعاريف، في مجملها تتسم بالتباين والاختلاف بين الدارسين .

تلاشي مفهوم البطل في الرواية المعاصرة :

لقد ذهب الكثير من النقاد المهتمين بالرواية المعاصرة إلى نظرة جديدة مغايرة للنظرة الكلاسيكية إلى البطل الروائي ،حيث أدركوا فكرة تلاشي البطل في الوقت الذي كانت فيه الشخصية المحورية هي الظاهرة السائدة على مستوى الرواية الكلاسيكية ،ويكاد يجمع

---

[4] عزالدين بونيت : الشخصية في المسرح المغربي بنيات وتجليات – مطبعة المعرف الجديدة الرباط المغرب 1992 ص 85

[5] محمد أيوب :الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة (في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967-1993)اتحاد كتاب العرب سوريا دمشق 1996ص38.

[6] شريط أحمد شريط : تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة دار القصبة للنشر الجزائر 2009ص 31

النقاد على أنّ الرواية المعاصرة« تصور بطلا من نوع جديد ،وبطل ليس فيه من البطولة سوى اسمها ،فالبطل في الرواية المعاصرة ،لا ينفرد بتلك الفضائل التي كان أبطال القرن 19،ومطلع القرن 20يتحلون بها» .[7]

إنّ البطل في الرواية المعاصرة إنسان عادي ،بكل ما في هذه الكلمة من معان ،وهذا ما يجعل النقاد يطلقون عليه البطل غير البطولي« ذلك أن تطور صورة البطل في الآداب العالمية من شخصيات يمثلون كمال الفرد الإنساني إلى شخصيات من غمار المجتمع ،يرد في أساسه المادي والفلسفي إلى التحول الذي طرأ على طبيعة الاقتصاد الدولي وتحوله إلى اقتصاد ليبرالي تنافسي ».[8]

ونظرا لهذه التطورات والتحولات تفكك مفهوم البطل شيئا فشيئا ،وأصبحنا نرى أبطالا ايجابيين ،أخريين سلبيين ،وأخريين بدون بطولة ،وليست هذه الصورة في الواقع إلا صوّر الشخصية ذاتها « غير أن البطل مثال ،بينما الشخصية واحد من الأدوار اللامعدودة للانا ،وبهذا فإن الشخصية والبطل ليسا شخصا ما ،والفرق بينهما أنهما يحتلان مكانين مختلفين في بنى الأنا ،فتكون الشخصية بذلك هي ما ندعي أننا هو ،ويكون البطل ما نوّد لو نكونه ».[9]

وهكذا فقد جاء مفهوم الشخصية إذن كبديل لمفهوم البطل على صعيد تاريخ كل منهما ،إذ لم يعد بالإمكان صياغة النموذج الأعلى الذي يحظى بالإجماع ،والسعي نحو تقمصه ،وصار الكاتب الروائي يعمد إلى تصوير عدة أشخاص ،لا يخص أحدهم بصيغة البطل ،فقد يتفاوتون فيكون من بينهم شخصية رئيسية ،ولكنهم يتقاربون في العناية ،ويقصد الكاتب في هذه الحالة الكشف عن وعيّهم جميعا ،بالقياس إلى المواقف العامة في القصة ،لذا فالروايات الحديثة ،عموما تحمل فكرة البطل ،وتهتم بتصوير الوعي الاجتماعي بمجموعة من الأفراد ممثلة لاتجاه خاص في المجتمع ،وتنزع نحو الواقع الاجتماعي وتصوير الوعي الإنساني مع تعميق الوعي بالطرق الفلسفية والنفسية التي عنيت بها القصة .

---

[7] أحمد إبراهيم الهواري :البطل المعاصر في الرواية المصرية ط3\1986 دار المعارف مصر ص42

[8] المرجع نفسه ص 44

[9] عزالدين بونيت :المرجع السابق ص 89\90

ولقد وصلت الشخصية الروائية بداية من القرن العشرين« مرحلة يمكن وسمها بالازدهار والعنفوان ،وهي المرحلة التي نشطت فيه الرواية بنوعيها التاريخية والاجتماعية»[10]. إلا أن مرحلة الازدهار ما لبثت أن انتهت مع انتهاء الحرب العالمية الأولى ،لتبدأ الشخصية بذلك مرحلة جديدة. «مرحلة وسطى تقع بين عهد رواية الشخصية ورواية اللاشخص،إنها مرحلة التشكيك ،والمساءلة والخصومة بين من لا يبرح متعصبا لضرورة قيام الشخصية بوظيفتها الاجتماعية ،وبين من شرع ينادي بضرورة إبطال دور هذه الشخصية في العمل الروائي والعمل باللغة قبل كل شيء » [11]. على أن هذا التراجع في حضور الشخصية ودورها قد بلغ ذروته مع نهاية الحرب العالمية الثانية .

لقد خضع مفهوم البطل للتغيير ما في ذلك شك ،ولكن جاء ذلك حسب التعبير عن الحاجات والضرورات لمتطلبات العصر من جهة ولاستجابة المبدع من جهة أخرى«من خلال قدرة الأخير على ترتيب الوقائع والأحداث واعتماده على أدوات فنية بالغة التأثير من مثل استخدام المميز للغة من خلال المنولوج الداخلي والحوار القصير ،وتسخير المؤثرات الحسية ،والظواهر الطبيعية ،لتحقيق هدف الروائي في معالجة قضايا متنوعة ،ما يكسب مفهوم الشخصية الروائية عمقا جديدا».[12]

وهكذا نصل إلى القول :أن مفهوم الشخصية جاءت كبديل لمفهوم البطل ،على صعيد تطور كل منهما.

معالم البطل في الثلاثية (الدار الكبيرة –الحريق- النول):

يعد محمد ديب رائد الرواية الجزائرية المعاصرة المكتوبة بالقلم الفرنسي ،وتأتي ثلاثيته في مقدمة الأعمال التي تؤرخ لميلاد الرواية الجزائرية ،كما تعد بمثابة سيرة شخصية للكاتب ،ومذكرة الشعب الجزائري ،أو الجزائر هي نفسها ،فهي تتناول حياة العمال في المدينة وحياة الفلاحين في القرية .

---

[10] عبد المالك مرتاض ،في نظرية الرواية ،بحث في تقنيات السرد المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت عالم المعرفة ديسمبر 1998ص 104

[11] المرجع السابق ،ص 105

[12] الموسوي أحمد جاسم ،:حول مفهوم بطل الرواية،العربية الأقلام العراقية ع3تموز 1973السنة التاسعة ص 09

فقد نشر روايته الأولى ((الدار الكبيرة)) سنة 1952،وفي سنة 1955أضاف إليها الجزء الثاني تحت عنوان ((الحريق)) ،وفي سنة 1957 أضاف الجزء الثالث بعنوان ((النول))،وبذلك اكتملت الثلاثية .

تدور أحداث الثلاثية حول حياة شاب وهو عمر ،وخلال تطور وجهة نظر ذلك الشاب ،ووعيه أمام كل ما يحدث له ،ولمحيطه ،«لم يكن عمر يعرف أمكنة لألعابه غير الشارع ،وما كان يمنعه أحد،وخاصة أمه ،من أن يهرع إلى الشارع حين يستيقظ من النوم ،لقد انتقل أهله من بيت إلى بيت عشرات المرات[13] » .

نرى تطور الوعي لدى الجماهير وأبطال الرواية الآخرون ،إنما يعطون كذلك صورة لمجتمع القرية والمدينة ،فهم أصحاب الأرض ،أو الفلاحون الأجراء الذي يعملون في أراضي تحت تسيير أوروبي ،وتختلف تلك الصورة تماما عن صورة الجزائر التي نصادفها في قصص كتاب الاستعمار والتي لا تتعدى كونها بلاد الشمس المشرقة ،والسماء الساطعة ومزارع الزيتون الممتدة على مدى البحر.

ولقد تابع الروائي في الثلاثية رصد سيرة بطله "عمر" ،ويقرر أن يضيف إلى قصته المتواضعة معلومات اجتماعية مستفيضة عن طريق التصريح ،وليس بطريقة التعبير ملمحا بذلك إلى معارك الطبقة الكادحة ،والمتمثلة في دور العمال البارز، « أن النار قد بدأت ،ولن تتوقف أبدا ،إنها تستمر مشتعلة ببطء ،وبعماء ،إلى أن تعم ألسنتها الدموية البلاد كلها بحرارتها المدمرة ».[14]

ويعد البطل عمر هو النموذج لأبناء الفقراء المعذبين«في الجزائر المستعمرة ،وكذلك حميد سراج نموذج للمناضلين الثوريين ضد سلطات الاستعمار ،وتمثل دار سبيطار الجزائر كلها ،لهذا سمها محمد ديب الدار الكبيرة ».[15]

---

[13] محمديب :الدار الكبيرة ، ،ترجمة سامي الدروبي،دار الهلال،مصر،دون سنة ص 26

[14] سعاد محمد خيضر : الأدب الجزائري المعاصر،دراسة أدبية نقدية ،المكتبة العصرية لبنان 1967ص 77

[15] أحمد محمد عطية :ص 112

ولقد وقع محمد ديب تحت سطوة القالب الذي استعاره من الروائيين الفرنسيين المعاصرين ، من حيث اهتمامه بالبطل نفسه ،وتتحول قصة عمر ،وعلى الأخص في النول إلى تراكم لتفاصيل صغيرة وشاحبة . «لبث عمر بضعة أيام في حالة من الاضطراب ،كان يذهب ويجيء ،ويقوم بألف عمل وعمل ،ويجري في الشوارع الغارقة في جو الربيع ،وهو شارد اللب ذاهل ،ومع ذلك كان شعور غامض بالسعادة يغزو قلبه على غير علم منه ».[16]

حقا إن فقدان البطل في الحريق يعوض لحد ما بتصوير شاعري لرحاب الريف الجزائري ،وسكانه الذين يحملون فكرة ضرورة الكفاح من أجل مستقبل أفضل«كانت تنبعث في عمر حياة جديدة ،وكانت دار سبيطار تبدو له في هذه اللحظة أشبه بسجن رهيب ،وتلك النسوة اللاتي تقبلن الدار أثناء فورانها المألوف رأسا على عقب يبدون له غيلان لا تحتمل و لا تطاق ».[17]

وتعد رواية الحريق من الروايات العربية القليلة التي تشاهد فيها شخصية البطل الثوري ايجابية يقظة مرنة متحركة « والتي تتابع فيها أسلوب عمل ثوري وعلاقته بجمهور وزملائه ،بعد أن تخصصت الروايات العربية التي تتناول شخصية البطل الثوري في تصويره مهزوما مقهورا مضطهدا ».[18]

فهذا عمر بطل الثلاثية تعرفه منذ أن كان طفلا يعيش مع أمه في منزل قديم عفن في مدينة تلمسان إلى أن يصبح رجلا عاملا في مصنع للنسيج ينتظره مصيره تماما كما ينتظر الآلاف من مواطنيه وهو المصير الذي تحدد بقيام ثورة سنة 1954.

ولاشك أن عمر في تنقله من مرحلة البيت إلى المدرسة ثم الريف ثم المصنع لم يسير في غير الطريق الذي رسمه له المؤلف« وهو طريق ليس غريبا على الذين عاشوا أو شاهدوا

---

[16] محمد ديب :النول ،ترجمة سامي الدروبي،دار الهلال،مصر،دون سنة ص95

[17] محمد ديب :الحريق،ترجمة سامي الدروبي ،دار الهلال ،مصر دون سنة ص11

[18] أحمد محمد عطية الأدب القومي الاشتراكي مجلة الأقلام وزارة الإعلام بغداد العدد السابع السنة 12 نسيان 1977 ص 116

تلك البيئة ،إذ ليس في الجزائر مهنة أو وظيفة محددة ،فلم يبق إلا أن يكون مستعدا للصراع مع الحياة في جميع أشكالها ».[19]

ويعتبر البطل عمر صورة في طفولته لآلاف الأطفال الجزائريين في تشردهم ،وضياعهم ،وهو في شبابه صورة أخرى لآلاف العمال الذين يثرون ويشتكون وييأسون ،ويتعرضون لأنواع شتى من المذلة والهوان ،وفيهم من يعيش بلا مستقبل ،وقبل تخاذل ويأس ومن يتطلع إلى غد كريم في ثورة وعنف وفي لغة وإيمان .

يعيش البطل في الجزء الأول (الدار الكبيرة) عمر ابن العشر مشكلتين رئيستين في حياته« أحدهما بيولوجية (حيوية) تتعلق بمتطلبات الجسم الضرورية ...الجوع الذي كان يعاني منه باستمرار ،لأّنه لا يجد في غالب الأحيان ما يأكله في بيتهم بسبب فقر أسرته الشديد ».[20]

ولقد وجد محمد ديب في الطفل عمر شخصية نموذجية ممتازة ،للتعبير بشكل رمزي مناسب عن العديد من الأفكار التي كانت تدور في ذهنه ،وعن الأوضاع المزرية التي عاشها الشعب الجزائري في فترة من أحلك فترات تاريخية ،ألا وهي فترة الحرب العالمية الثانية ،فقد كان حال الشعب الجزائري أشبه ما يكون بحال طفل عمر في يتمه وجوعه المزمن ،وحيرته في فهم ما يجري حوله من صراع بين كبار العالم .

ولقد حاول محمد ديب منذ أول قصة كتبها أن يضع أدبه في خدمة المظلومين ،وهذه القصة (الدار الكبيرة- الحريق- ثم مهنة النسيج) صورة واضحة لحياة الشعب الجزائري في تلك الفترة بالذات ،بداية الوعي القومي والشعور بالكرامة ،فترة التهيئة النفسية للمعركة القادمة ،وتعتبر عوالم ديب التي خلقها في قصصه،« هي عوالم غنية زاخرة تعبر عن قلق عميق يتنامى ،وخوف من تعوّد الشعب الجزائري على المأساة وتحوله عن اللامبالاة ،ولكن الكاتب يساعد أبطاله على التحرر من ذلك القلق الذي يبقى مع ذلك جاثما على نفوسهم أمام

---

[19] أبو القاسم سعد الله:دراسات في الأدب الجزائري الحديث ط5 دار الرائد للكتاب الجزائر 2007 ص 57

[20] أحمد منور:الأدب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي ،نشأته وتطوره وقضاياه ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2007 ص315

طول الليل ،واستمرار العذاب أمام تلك الحيوات الصغيرة التي تتحطم ،وتداس للاشيء ودون جدوى».[21]

وصفات أبطال ديب وقيمهم تحاول أن تدلل على أن الصراع قد أصبح عاملا من عوامل تكوين الشخصية الجزائرية ،ويتحرك أولئك الأبطال ،ولكن ذلك القلق يتحول إلى ترقب إلى ثورة مسلحة لا تبقي ولا تذر« وأبطاله وهم يتغنون بماضي الجزائر وحاضرها ،إنما يعطون صورة للمستقبل ،كذلك الأحداث التي يعيشها أبطال الثلاثية ،والتي تؤثر على حياتهم وتفكيرهم وسلوكهم تصور بداية الحركة نحو التغيير وضع الأشياء ».[22]

البطولة في روايات ديب ما بعد ثلاثيته :

ينهي محمد ديب الجزء الثالث من الثلاثية (النول) عند نقطة الاستشراف تاركا المجال لروايته التي صدرت عام 1959 تحت عنوان " صيف إفريقي " لتحقق النبوة التي رسمها ، وتتميز هذه الرؤية بإحكام فني شديد ، يتجاوز به ديب حدود الزمان والمكان ،« و يواكب الثورة الجزائرية التي اندلعت ، ويعمد إلى اختيار نماذجه من " الجزائر " كلها ، يختار التاجر وصاحب الأرض والموظف الصغير ، والطالبة والخادمة والفلاح ، يختار أيضا الثوري والخائن والمتردد ، ويختار " فرنسا " بكل ما يمثل استعمارها من قيم تخون الثورة الفرنسية يختار لها وجهها الهمجي المتوحش ، الذي يعبث بكل قيمة » [23].

لا يعمد الروائي في بناء " صيفه الإفريقي " إلى العقدة الكلاسيكية بل ينسج بناءه الفني من الشخصيات . « وتتطور نظرة أبطال ديب إلى الحياة و إلى الواقع وتنتقل معهم من مرحلة التهيئة النفسية في الثلاثية إلى مرحلة العمل والثورة في " صيفه الإفريقي" ، وفي الصيف تصفو السماء و تسطع الشمس ، وشمس الإبطال ديب هنا هي الحرية .[24] »

وعندما أراد الروائي أن يتحدث عن بطل الرواية ،تعمق في وصف شكله الخارجي ،« إنه رجل نحيف الجسم ،جّف عوده ،عليه سيماء أناقة قديمة ،من ربطة عنق ومنديل وحذاء

---

[21] سعاد محمد خيضر: المرجع السابق ص152

[22] المرجع نفسه ، ص152

[23] حنفي بعلي: تحولات الخطاب الروائي الجزائري ،أفاق التجديد ومتاهات التجريب،دار اليازوري الاردن ،سنة 2015 ص65

[24] سعاد محمد خيضر المرجع السابق ص160

من القماش الأبيض ،وبذلة رمادية فاتحة تشد على جسمه ،كل ذلك يذكر بالزي الذي كان رائجا حول عام 1920.وإن له شاربين مفتولين ،وشعر غزيرا خالطه البياض ومع أنه لم يتقدم في السن – إذ لم يبلغ الخمسين من عمره حتما – فإن نظرته الهادئة المفكرة ،التي يسددها نحو كل شيء تبدو كأنها فقدت نضارتها ».[25]

أما إذا انتقلنا إلى رواية "من يذكر البحر " التي ألفها سنة 1962نجد أن الراوي يبرز أكثر من قلق ويستشف أكثر من خطر ، يترصد مستقبلنا عن طريق البحث عن الحقيقة التي تميّزه ، فبينما تستسلم المدينة ظاهريا للعمى العبثي لعنف بلا رحمة ، يظل الأبطال الإيجابيون يتمتعون بصحو يأتيهم ليس من فهم عقلاني للأحداث ، لكن من معرفة خفية نقلت عب مسالك غامضة ، تظهر في أثناء احتفالات يتعذر شرحها .

ومن ثمة تعتبر رواية " من يذكر البحر "« انقلابا جماليا جزائريا ، تولّد عن خروج ديب من عباءة بلزاك من أجل صياغة كتابة رؤيوية جديدة ، قائمة على الحكم كبديل للواقعية والتوثيقية»[26].

كما عالج محمد ديب المسألة النسوية والتي مثلها مثل المسألة الدينية ، لا يمكن لأي نقاش أو تفكير في المجتمع الجزائري المعاصر أن يتفاداها ، وكان من اللازم انتظار " رقصة الملك " للعثور على بطلة : إنها عرفية المجاهدة القديمة في حرب التحرير التي تؤكد نفسها على ساحة النص كموضوع فردي مستقل ، وتكون صورتها سليمة من أي ابتذال .

وفي رواية " رقصة الملك " يتحول إلى عنصر للتأمل يعيد رضوان بواسطته تشكيل وجوده المهدد بالانفصال والانطواء،كان من اللازم انتظار رقصة الملك للعثور على بطل . « الفرد الممزق بين أحلامه وخيباته هو بطل الرواية التي تفرزه الأوضاع السائدة فيعصره تجعله دون غيره يعي أوضاع عصره ويتحرك في وسطها سواء كان تحركا ايجابيا أوسلبيا ،فالمهم هو وعيه لذاته وللأشياء من حوله وان قعد عن الفعل وانتهى بعد الفعل إلى الفشل

---

[25] محمد ديب :صيف إفريقي ،ترجمة جورج سالم عبد المسيح بربار مراجعة بدر الدين قاسم وزرة الثقافة والإرشاد القومي مديرية التأليف والترجمة ،دمشق دون سنة ص07

[26] حنفي بعلي،المرجع السابق ص66

واليأس ،تلك هي في نظرنا هي السمة البارزة التي أكسبت الشخصية في الرواية العربية الحديثة صفة البطولة ».[27]

ويتطور في رواية " الله في بلاد البربر " حيث تطرح " خصوصية " الشعب الجزائري . « والواقع أنه ليس من المهم بالدرجة الأولى أن يكون تمصفل السياسي والأسطوري في مؤلفات محمد ديب »[28] يظل الإبطال الايجابيون يتمتعون بصحو يأتيهم من ليس فهم عقلاني للأحداث،« لكن من معرفة خفية نقلت عبر مسالك غامضة ،تظهر أثناء احتفالات يتعذر شرحا».[29]

ففي هذه الرواية (الله في بلاد البربر) نرى الشخصيات تثير التساؤلات حول سخافة الحياة ، وتتأمل مرور الزمن معبرة عن رغبتها بإيقافه مثلما تفعل شخصيات روايات أخرى مشابهة لها ، ورضوان هو الشخص الذي يجسد هذا الموقف من خلال إثارة ذكرى حياته الماضية وتساؤلاته حول المستقبل .

وفي رواية هابيل ،نجد بطل الرواية هو شخصية هابيل ،فهو عنصرا فعالا داخل النص السردي ،يتميز بالانفعالات النفسية ،باعتباره شخصية مشتتة بين ماض دفين وحاضر مرير ،بين ماض كلما تذكره أخاه قابيل حين طرده من أرض الوطن وبين حاضر مبهم يسعى فيه للبحث عن الحقيقة .« وهي بطولة تتحدد وفق الظروف التي يخلق فيها ذلك الإنسان ،وما يتوفر به من خصال ،ومن هذا التفاعل بين الوراثة والبيئة يخلق البطل الايجابي ».[30]

في هذه الرواية (هابيل) تمثل الغربة الإطار الحقيقي للرواية ،حيث أن البطل "هابيل" صاحب التسع عشرة سنة ،يطرده الأخ الأكبر إلى مدينة باريس ،فتبدأ رحلته حين خاطبه قائلا:« بالنسبة لك قد حلّت ساعة رحيلك ...تجرب حظك ،وتجرب العالم ،اذهب ،اكتشف

---

[27] علي منصوري :البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة ،مذكرة دكتوراه قسم اللغة والادب العربي كلية الاداب والعلوم الانسانية جامعة باتنة الجزائر 2008ص186

[28] حنفي بعلي المرجع السابق ص66

[29] المرجع نفسه ص66

[30] الهواري أحمد ابراهيم: البطل في الرواية المصرية ص 24

مدنا ،تعلم كيف تتعرّف على البلدان ،أسرف حياتك ،لا تستجيب لرغبتنا في الاحتفاظ بك بالقرب منا ،خالفنا وارحل ،اجعل من حياتك شيئا يشبهك ،انفصل عنا مثلما فعلت أمنا ».[31]

يمثل هابيل ذلك الإنسان الضعيف الذي عانى القهر والاستبداد ،من طرف منهم أكبر منه سنا،« أصبح هابيل في البعد البعيد ،داخل مدينة كبيرة كأنها الكواكب ،مظلمة ثؤورة كزوجة أب شريرة ،وغضوبة مثلها ».[32] فالبطل لم يكن في أية مرحلة من مراحل التاريخ بمنأى عن العلاقات الاجتماعية السائدة التي تأتي انعكاسا للبناء الكلي للمجتمع وحركة ذلك البناء ،و« ضمن ذلك يمكن النظر إلى مشكلة البطل بوصفها ثمرة للعلاقة بين القوى المنتجة في المجتمع ،ومعنى هذا أن صورة البطل تبدأ في التغيير عندما يتغير البناء» .[33]

وهكذا تصبح مهمة البطل دراسته لعلاقته بمجتمعه ،وما ينشط في ذلك المجتمع من تفاعل قد ترتفع وتيرته وقد تنخفض ،فيضع كل ذلك الدارس على تفسير كلي لتحولات الفرد الواقعية ثم حركة الفرد الفنية في النص الروائي باعتباره انعكاسا أو تصويرا ،فالمجتمع هو المؤثر الأول في فكر الفرد .وعلاقة الإنسان بمجتمعه وحركته ضمنه أسست لبنية فنية في الخطاب الروائي ،ذلك أن إنسان الرواية كائن اجتماعي يرسم حدود تاريخه بحركته فيه ، لتعبر عنه الرواية بطريقة تاريخية –اجتماعية.

وقد اكتسب أبطال روايات محمد ديب بطولته من « وعي المهمات التاريخية والاجتماعية من طرف الإنسان العادي ،البسيط ،ودون بطولة ،والذهاب بها إلى طورها الأعلى ،طور ممارستها في الواقع ،مما سيضفي على هذا الإنسان العادي البسيط ،و دون بطولة ،الصفة البطولية ،والتي هي صفة اجتماعية مكتسبة ،لها انعكاسات الواقع الثوري الجديد ،وليست أبدا ما فوق- الواقع ».[34]

إن القاسم المشترك بين روايات ديب الأخيرة هو البطولة المشتركة ، وبعض السمات الشاعرية المتشابهة ، وقبل كل شيء المونولوج ، أو الحوارات الداخلية لكثير من

---

[31] محمد ديب :هابيل ،ترجمة أمين الزاوي ،المكتبة الوطنية الجزائرية ،الجزائر د،ط2007 ص93

[32] المصدر نفسه ص94

[33] الهواري أحمد ابراهيم :البطل في الرواية المصرية ص 18

[34] القاسم أفنان :عبد الرحمان مجيد الربيعي والبطل السلبي في القصة العربية المعاصرة –بيروت عالم الكتب 1984ص22

الأشخاص التي تعبر عن وجهات نظر مختلفة حول طريقة انقاذ البلاد ، كما أن هناك أمرا مشتركا بينها هو بحوث الأبطال المولعة واصطدامهم .

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر:

محمد ديب :الدار الكبيرة ، ،ترجمة سامي الدروبي،دار الهلال،مصر،دون سنة

محمد ديب :النول ،ترجمة سامي الدروبي،دار الهلال،مصر،دون سنة

محمد ديب :الحريق،ترجمة سامي الدروبي ،دار الهلال ،مصر دون سنة

محمد ديب :صيف إفريقي ،ترجمة جورج سالم عبد المسيح بربار مراجعة بدر الدين قاسم وزرة الثقافة والإرشاد القومي مديرية التأليف والترجمة ،دمشق دون سنة

محمد ديب :هابيل ،ترجمة أمين الزاوي ،المكتبة الوطنية الجزائرية ،الجزائر د،ط2007

المراجع:

أسماء أحمد معيكل :الأصالة والتغريب في العربية روايات حيدر أنموذجا (دراسة تطبيقية)عالم الكتب الحديث إربد الأردن ط1(2011)

مخائيل باختين :الخطاب الروائي،ترجمة محمد برادة ،القاهرة ط1\2009

عزالدين بونيت : الشخصية في المسرح المغربي بنيات وتجليات – مطبعة المعرف الجديدة الرباط المغرب 1992

محمد أيوب :الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة (في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967-1993)اتحاد كتاب العرب سوريا دمشق 1996

شريط أحمد شريط : تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة دار القصبة للنشر الجزائر 2009

أحمد إبراهيم الهواري :البطل المعاصر في الرواية المصرية ط3\1986 دار المعارف مصر

عبد المالك مرتاض ،في نظرية الرواية ،بحث في تقنيات السرد المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت عالم المعرفة ديسمبر 1998

سعاد محمد خيضر : الأدب الجزائري المعاصر،دراسة أدبية نقدية ،المكتبة العصرية لبنان 1967

أبو القاسم سعد الله:دراسات في الأدب الجزائري الحديث ط5 دار الرائد للكتاب الجزائر 2007

أحمد منور:الأدب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي ،نشأته وتطوره وقضاياه ديوان المطبوعان الجامعية الجزائر 2007

حنفي بعلي: تحولات الخطاب الروائي الجزائري ،أفاق التجديد ومتاهات التجريب ،داراليازوري الأردن 2015 .

القاسم أفنان :عبد الرحمان مجيد الربيعي والبطل السلبي في القصة العربية المعاصرة – بيروت عالم الكتب 1984

المجلات:

أحمد محمد عطية الأدب القومي الاشتراكي مجلة الأقلام وزارة الأعلام بغداد العدد السابع السنة 12 نسيان 1977 .

الموسوي أحمد جاسم ،:حول مفهوم بطل الرواية،العربية الاقلام العراقية ع3تموز 1973السنة التاسعة .

الرسائل الجامعية:

علي منصوري :البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة ،مذكرة دكتوراه قسم اللغة والأدب العربي كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة باتنة الجزائر 2008